الطين

لستَ الطين ساعةً انهُ طين — حقيرٌ فصالَ تيهاً وعربدْ
وكسى الخزُّ جسمهُ فتباهى وحوى المالَ كيسهُ فتمرّدْ

***

يا أخي. لا تملْ بوجهك عني ما انا لحمةٌ ولا انت فرقدْ
انت لم تصنع الحرير الذي تلبسُ واللؤلؤ الذي تتقلد
انت لا تأكل النضار اذا جعتَ ولا تشربُ الجمان المنضّد
انت في البردة الموشّاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد
لك في عالم النهار اماني ورؤًى والظلام فوقك ممتدّ
ولقلبي كما لقلبك أحلا مٌ حسانٌ فانهُ غير جلمد
أأمانيّ كلها من ترابٍ وامانيك كلها من عسجد ؟
وامانيّ كلها للتلاشي وامانيك للخلود المؤكد ؟!
لا . فهذي وتلك تأتي وتمضي كذوبها . وايُّ شيءٍ سرمد ؟

***

ايها المزدهي . أأين منكَ السقمُ ألا تشتكي ؟ ألا تتهدد ؟
واذا راعك الحبيب بهجرٍ ودعتك الذكرى ألا تتوجّد ؟
انت مثلي يبشّ وجهك للنعمى وفي حالة الاسى يكمدّ
أدموعي خلّ ودمعك شهدٌ ؟ وبكائي ذُلٌّ ونوحك سؤدد؟
وابتسامي السراب لا ريّ فيهِ؟ وابتساماتك اللآلي الخرّد ؟

***

فلكٌ واحد يظلّ كلينا حار طرفي به وطرفك ارمد
قمر واحد يطلّ علينا وعلى الكوخ والبناء الموطّد

ان يكن مشرقاً لعينيك انى لاراهُ من كوة الكوخ اسود
النجوم التي تراها أراها حين تخفى وعندما تتوقد
لستَ أدنى على غناك اليها وانا مع خصاصتي لست أبعد

***

انت مثلي من الثرى واليه فلماذا يا صاحبي التيه والصدّ
كنتَ طفلاً اذ كنتُ طفلاً وتغدو حين اغدو شيخاً كبيراً أدرد
لست أدري من اين جئتُ ولا ما كنتُ،اوما اكون،يا صاح في غد
أفتدري ؟ أذن فخبّرْ وإلا فلماذا تظنّ انك أوحد ؟

***

أللك القصرُ دونهُ الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيّد؟
فامتع الليلَ ان يعدّ رواقاً فوقهُ والضباب ان يتلبّد
والنظر الثور كيف يدخل لا يطلبُ اذناً فما لهُ ليس يُطرد ؟
مرقدٌ واحدٌ نصيبك منهُ افتدري كم فيهِ للنور مرقد ؟
ذدتني عنهُ والعواصف تعدو في طلابي والجوعُ اقعى أربد
بينما الكلب واجد فيهِ مأوى وطعاماً والهرّ كالكلب يُرفد
فسمعت الحياة تضحك مني اترجّي، ومنك تأبى وتجحد

***

أللك الروضةُ الجميلةُ فيها الماء والطير والازاهر والندّ ؟
فازجر الريحَ ان تهزّ وتلوي شجر الروض — انهُ يتأود
والجم الماء في الغدير ومرهُ لا يصفّقْ الاّ وانت عشهد
ان طير الاراك ليس يبالي انت اصغيتَ ام انا ان غرّد
والازاهير ليس تسخر من فقري ولا فيك للغنى تتودد

***

أللك النهر ؟ انهُ للنسيم الرطب دربٌ وللعصافير مورد

وهو للشهب تستحمّ به في الصيف ليلا كأنها تتبرّد
تدّعيه فهل بأمرك يجري في عروق الاشجار او يتجمّد
كان من قبل ان تجيء وتمضي وهو باقٍ في الارض للجزر والمدّ

***

أتلك الحقل ؟ هذه النحل تجني الشهد من زهره ولا تتردد
وارى للنمال ملكاً كبيراً قد بثّهُ بالكدح فيه وبالكدّ
انت في شرعها دخيل على الحقل ولصٌّ جنى عليها فأفسد
لو ملكت الحقول في الارض طرّاً لم تكن من فراشة الحقل اسعد

***

أجميل؟ ما انت أبهى من الوردة ذات الشذى ولا انت اجود
ام عزيز ؟ وللبعوضة من خديك قوت وفي يديك المهنّد
ام غنيٌّ ؟ هيهات تختال لولا دودة القزّ بالحياء المبجّد
أم قويٌّ ؟ اذن مُرّ النوم اذ يغشاك والليل عن جفونك يرتد
وامنع الشيب ان يلمّ بفوديك ومرّ تلبث النضارة في الخدّ
أعليمٌ ؟ فما الخيال الذي يطرق ليلاً ؟ في أي دنيا يُولد ؟
ما الحياة التي تبينُ وتخفى ؟ ما الزمان الذي يُذمّ ويُحمد؟

***

ايها الطين لست انقى واسمى من ترابٍ تدوسُهُ او تتوسّد
سدتَ او لم تسد فما انت الاّ حيوانٌ مسيّرٌ مستعبد
ان قصراً حكمتهُ سوف يندكّ وثوباً نسجتهُ سوف ينقدّ
لا يكن للخصام قلبك مأوى ان قلبي للحب اصبح معبد
انا أولى بالحب منك واحرى من كساء يبلى ورمال يتنفدّ

نيويورك ايليا ابو ماضي